جامعة ديالى
كلية التربية الاساسية
قسم اللغة العربية

المرحلة الاولى
المادة: المنتخب في الادب

محاضره عن

كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

إعداد
الاستاذ الدكتور
اسماء كاظم فندي

المصدر
كتاب المنتخب من كتب الادب

تأليف
أ.د اسماء كاظم فندي خليل ابراهيم الناجي

كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

تحدثنا في الموضوع السابق عن الإنشاء ـ التعبير ـ ، وهنا سنتطرق إلى موضوع جديد نتمم به ما بدأناه ألا وهو تقسيم الإنشاء ، فان أقسامه هي :

١ ـ فن الشعر المنظوم : وهو الكلام المُقفّى الموزون بأوزان مخصوصة ، ومنه المدح والهجاء ، والرثاء .

٢ ـ فن النثر : وهو الكلام غير الموزون . ومنه ما يؤتى به قِطعا ، ويُلتزَم به في كل كلمتين قافيةٌ واحدة ، ويُسمى سَجْعاً ، ومنه ما يؤتى به قطعا من غير تقيد بقافية ولا غيرها وهو الذي يُطْلَقُ فيه الكلام إطلاقا ، ولا يُقَطَّعُ أجزاءً ، بل يُرسل إرسالا من غير تقيّد بقافية ، وهو ما يُسمّى بالنثر المُرسَل[١] .

*** تعريف التوحيدي :**

هو أبو حيّان التوحيدي : علي بن محمد بن العباس " أبو حيّان " ، فيلسوف متصوِّف معتزلي ، عملاق في الفكر والأدب ، نعته ياقوت الحموي " بشيخ الصوفية ، وفيلسوف الأدباء " . ولِد في شيراز ، وقيل نيسابور ، وأقام مدة في بغداد ثم انتقل إلى الري ، وفيها الوزير ابن العماد ، والصاحب بن عبّاد ، فوشيا به إلى الوزير المهلبي ، فاستتر منه ، ومات في استتاره[٢] .

ولد التوحيدي سنة (٣١٠ هـ ـ ٩٢٢ م) توفي أبوه وأمه وهو صغير ، وعاش في كفاح متصل ، ونضال طويل وحلّ وترحال دائمين ، وحاول أن يبعد شبح البؤس والحرمان عنه فلم يفلح وتردد على قصور الوزراء والكتّاب في عصره ، مثل المهلبي ، وابن العميد ، وابن عباد ، وابن سعدان ، فلم يظفر منهم بطائل بل كسب عداوتهم له ، وعاش في حيرة عيشة الزاهدين

١ـ الهاشمي ، بلات ، ج ١ ، ص ٤٠ـ ٤١ .
٢ـ التوحيدي ، ٢٠٠٦ ، ج ١ ، ص ٨ .

المتصوفين . وفي لحظة من لحظات الشقاء والتعاسة النفسية احرق كتبه ، وشاهد النار وهي تشتعل فيها وتلتهمها . ومات بشيراز عام ٤٠٠ هـ) بعد أن حورب من أهل عصره وشقي بأهل زمانه ، وعاش في حرمان متصل ، وفقر شديد . وقد وصف التوحيدي نفسه في مقدمة كتابه " الإشارات الإلهية " الذي حققه وقدّم له د. عبد الرحمن بدوي فقال : " أما حالي فسيئة كيفما قلبتها ، لان الدنيا لم تؤاتني لأكون من الخائضين فيها ، والآخرة لم تغلب عليّ فأكون من العاملين لها وأما ظاهري وباطني فما اشد اشتباههما ، وأما سرّي وعلانيتي فممقوتان بعين الحق ، لخلوهما من علامات الصدق ، ودنوهما من عوائق الرق ، وأما سكوني وحركتي فآفتان محيطتان بي ، لأني لا أجد في أحدهما حلاوة النجوى ، ولا أعرى في الأخرى من مرارة الشكوى ، وأما قراري واضطرابي فقد وهّنني الاضطراب حتى لم يدع فيّ فضلا للقرار ، وغالب ظني أني قد علقت به لأنه لا طمع لي في الفكاك ولا انتظار عندي للانفكاك " ، ومع أن التوحيدي عاش قريبا من بلاط الوزيرين ابن العميد والصاحب ابن عبّاد ، فقد هجاهما ، وألّف فيهما كتابا سمّاه " مثالب الوزيرين " وآثر أن يعيش مع المجتدين الأدنياء الارذياء ، وكان يكرر " معاناة الضر والبؤس أولى من مقاساة الجهّال ، والصبر على الوخيم الوبيل أولى من النظر الى محيا كل ثقيل " ، فهكذا عاش التوحيدي حياة البائسين وحياة المفكرين ، حتى ليعد الفيلسوف الأديب المعبّر عن ثقافة النصف الثاني من القرن الرابع الهجري[٣] .

*** كتاب الامتاع والمؤانسة :**

هو من مؤلفات التوحيدي يقع في ثلاثة أجزاء ، وهو مجموع مسامرات في فنون شتّى من الأدب واللغة والتاريخ والسياسة والفلسفة ، حاضر المؤلف بها الوزير أبا عبد الله العارض في أربعين ليلة . وقد عرض التوحيدي في هذا الكتاب كل مشكلات الثقافة والفكر والأدب في عصره ، في ندوات أدبية كان يعقدها في أمسيات جميلة في دار الوزير أبي عبد الله العارض ، وقد ألّف التوحيدي هذا الكتاب الممتع والرائع على الطريقة التي أُلّف فيها كتاب الف ليلة وليلة في هذا العصر ، فانه يقص علينا في هذا الكتاب كل ما كان يعانيه من مشكلات الفكر والثقافة والأدب في أدب رفيع من أدب السمر والحوار . والكتاب موزع على اربعين ليلة ، وان كانت الليلة العاشرة والحادية عشرة جعلتا في ليلة واحدة ، وسقطت الليلة الثانية عشرة من الكتاب .في كل ليلة من ليالي الإمتاع والمؤانسة يجري الحوار والسمر حول موضوع محدد ، يُعيّنه ابن سعدان الوزير ، وإن كان عقل التوحيدي الواسع الثقافة كثيرا ما يميل الى الاستطراد فينتقل من طرفة الى طرفة ، ومن فكرة الى فكرة ، ومن شيء الى آخر شبيه به ، حتى ليتناول عدّة موضوعات ، ويختم الليلة غالبا بملحمة وداع ، أي بطرفة يختم بها الأمسية الأدبية .

ففي مقدمة الكتاب يذكر أبو حيّان مدى اعتزازه بصديقه أبي الوفاء المهندس ، واستجابته لطلبه في تأليف الكتاب ، ويمزج ذلك كله بالشكوى من الزمان .

ـ وفي الليلة الأولى يصف مجلس الوزير ابن سعدان ، ويتحدث عن لذة الحديث ، وعن الاشتقاق اللغوي للكلمة ، ثم يذكر ملحة الوداع .

ـ وفي الليلة الثانية يذكر أبا سليمان المنطقي ، ورأيه كذلك في علماء عصره من أمثال ابن زرعة ، وابن الخمار ، وابن السمح ، وأبي بكر القومسي ومسكويه ، وعيسى بن علي ، ويحيى بن عدي ، وقد تحدث أبو حيان عن هذه الأعلام ورأيه فيهم ، ورأيهم في النفس .

ـ وفي الليلة الثالثة في أصدقاء السوء ، والرابعة حديث عن الصاحب بن عبّاد الوزير (٣٨٥ هـ) مع الاستطراد إلى كثير من الأعلام وكلمات مأثورة لهم ، وآراء مروية عنهم .

١ـ خفاجي ، ١٩٩٢ ، ص ١٤٧ ـ ١٥٠ .

ـ وفي الليلة الخامسة يتصل الحديث بابن عبّاد أيضا ، وبمكاتبه المشهور أبي إسحاق الصابي .

ـ وفي الليلة السادسة يتحدث التوحيدي عن أمم العالم القديم في عصره ، وما امتازت به كل امة من هذه الأمم .

ـ وفي الليلة السابعة يدور السمر حول موازنة بين علمي الحساب والبلاغة .

ـ وفي الليلة الثامنة تضمنت ذكر المناقشة الفكرية بين السيرافي ومتي بن يونس حول أهمية المنطق اليوناني في الكلام ، ومقدار أهميته بالنسبة للنحو العربي ، وأيهما أولى بالعناية ، ويصف التوحيدي أبا سعيد السيرافي وصفا شائقا .

ـ وفي الليلة التاسعة تحدث عن أنواع الحيوان وخصائصها ، وكذلك الليلة العاشرة والحادية عشرة ، وسقطت الليلة الثانية عشرة من الكتاب .

ـ وأما الليلة الثالثة عشرة فيدور الحوار والسمر فيها حول النفس ، وفي الليلة الرابعة عشرة حوار حول السكينة أي الطمأنينة وضروبها ، وحول خصائص الأمم وصفتها كذلك .

ـ والليلة الخامسة عشرة حوار كلامي عن الواجب[٤] والممكن[٥] ، والسادسة عشرة حول الجبر والقدر وهي نهاية الجزء الأول من الإمتاع والمؤانسة .

*** وأما الجزء الثاني من الكتاب :**

فيبتدئ بالليلة السابعة عشرة ، ويدور الحديث فيها في جملته حول إخوان الصفا ، من هم ؟ وما فلسفتهم ؟

ـ وفي الليلة الثامنة عشرة سمر ومجون . والتاسعة عشرة قراءات لكلمات فلسفية .

ـ والليلة العشرون حول الحديث النبوي ، والحادية والعشرون حول الغناء والموسيقى والثانية والعشرون حول الجزئي[٦] والكلي[٧] وهما من الفلسفة ، ثم حول الواحد والكثير .

ـ والليلة الثالثة والعشرون مأثورات نبوية شريفة ، والرابعة والعشرون تعود إلى الحيوان والنبات .
ـ والخامسة والعشرون موازنات بين النظم والنثر ، ومنزلة الشعر بين فنون الأدب .

ـ والسادسة والعشرون تدور حول الأمثال . والسابعة والعشرون قصص وفكاهات ، والثامنة والعشرون حول الفنانين وفنّهم ، والتاسعة والعشرون والثلاثون وبعض الليلة الحادية والثلاثين حول مسائل لغوية وغيرها . وينتهي بها الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة .

١ـ الواجب هو الله سبحانه وتعالى .
٢ـ هو كل ما عدا الله جل وعلا من الموجودات .
١ـ هو المفهوم الذي لا ينطبق إلا على مصداق واحد مثل أسماء الأعلام .
٢ـ هو المفهوم الذي ينطبق على متعدد مثل مفهوم الإنسان .

*** والجزء الثالث :**

يبدأ ببقية الليلة الحادية والثلاثين وفيها يترامى الحديث إلى المُطْعَمِين والطاعمين ، حيث يدور الحديث حول ذلك في بقية هذه الليلة وفي ليلتين أخريين ، هما الليلة الثانية والثلاثون ، والليلة الثالثة والثلاثون .

ـ أما الليلة الرابعة والثلاثون فتدور حول سياسة الشعب وواجب الحاكم والمحكوم وهي ليلة حافلة بالجد والعبرة والعظمة .

ـ وفي الليلة الخامسة والثلاثين يدور الحوار حول الجبر والاختيار[٨] ، والحب والشهوة ، والنفس والروح ، وغير ذلك من الأمور الفلسفية العميقة .

ـ وفي الليلة السادسة والثلاثين ينتقل السمر إلى اللغة ، وينتقل في الليلة التي بعدها إلى الأخلاق ، وفي الليالي الثلاث الأخيرة الثامنة والثلاثين ، والتاسعة والثلاثين والأربعين ، يتصل السمر بالفكاهة والجد وبوادر الذكاء . وبها ينتهي الكتاب[٩] .

*** نص من كتاب الامتاع والمؤانسة للتوحيدي :**

سأل الوزير صمام الدولة البويهي أبا عبد الله العارض قائلا : أحب أن اسمع كلاما في مراتب النظم والنثر ... فأجابه أبو عبد الله لطلبه وكان مما قال : (وقال ابن كعب الأنصاري : من شرف النثر أن النبي ρ لم ينطق إلا به آمرا وناهيا ، ومستخبرا ومخبرا ، وهاديا وواعظا ، وغاضبا وراضيا ، وما سلب النظم إلا لهبوطه عن درجة النثر ، ولا نزه عنه إلاّ لما فيه من النقص ، ولو تساويا لنطق بهما ، ولمّا اختلفا خصَّ باشرفهما الذي هو أجول في جميع المواضع ، وأجلب لكل ما يطلب من المنافع . فهذا قليل من كثير مما يكون تبصرة لباغي هذا الشأن ، ولمن يتوخى حديثه عند كل إنسان . وأما ما يفضل به النظم على النثر فأشياء سمعناها من هؤلاء العلماء الذين كانت سماء علمهم درورا ، وبحر أدبهم متلاطما ، وروض فضلهم مزدهرا ، وشمس حكمتهم طالعة ، ونار بلاغتهم مشتعلة ، وأنا آتي على ما يحضرني من ذلك ، منسوبا إليهم ، ومحسوبا لهم ، ليكون حقهم مقضيا ، وذكرهم على مرِّ الزمان طريا. قال السلامي [١٠] : من فضائل النظم أن صار لنا صناعة برأسها ، وتكلم الناس في قوافيها ، وتوسعوا في تصاريفها واعاريضها ، وتصرفوا بحورها ، واطلعوا على عجائب ما استخزن فيها من آثار الطبيعة الشريفة ، وشواهد القدرة الصادقة ؛ وما هكذا النثر ، فانه قصر عن هذه الذروة الشامخة ، والقلة العالية ؛ فصار بذلك بذلة لكافة الناطقين من الخاصة والعامة والنساء والصبيان)[١١] .

*** التحليل اللغوي :**

*** المعجم :**

١ـ الجبر والاختيار مفهومان عقدائديان يتعلقان بافعال الانسان هل هي من الله سبحانه وتعالى فيكون مجبرا عليها ، ام هي من الانسان نفسه فلا يكون مجبرا عليها .

٢ـ خفاجي ، ١٩٩٢ ، ص ١٥٠ ـ ١٥٦ .

٣ـ هو عبد الله بن موسى بن الحسين بن إبراهيم السلامي شاعر له اشتغال بالحديث والتاريخ والأدب ، من أهل بغداد ، توفي سنة ٣٧٤ هـ .

٤ـ التوحيدي ، ٢٠٠٦ ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

١ ـ أجول : (أجالهُ) وبه : جعله يجول . و ـ أداره . و ـ القومُ الرأي فيما بينهم : تداولوا البحث فيه . ويقال : أجِلْ جائلتك : أمْضِ أمْرَك ولا تتردَّدْ[١٢] .

٢ـ درورا : (دَرَّ) الضَّرْعُ باللَّبَن يَدُر بالضم (دُرُوراً) و (أدرَّت) الناقةُ فهي (مُدرّ) أي دَرَّ لَبَنُهَا والريحُ تُدِر السَّحَابَ و (تَسْتَدِرُّه) أي تَسْتَحْلِبُه ...[١٣] .

٣ـ روض : الرَّوْضةُ : الأرض ذات الخُضْرة . والرَّوْضةُ : البستان الحَسَنُ ؛ عن ثعلب[١٤] . والرَّوْضةُ : الموضع يجتمع فيه الماء يكْثُر نَبْتُه ، ولا يقال في موضع الشجر روضة ، وقيل : الروضة عُشُب وماء ولا تكونُ رَوْضةً إلا بماء معها أو جنبها ...[١٥] .

٤ ـ القلة : القُلَّة : أعْلى الجبل . وقُلَّة كل شيء : أعلاه ، ... وخص بعضهم به أعلى الرأس والسنام والجبل ...[١٦] .

*** الصرف : ولنأخذ**

ـ (أجول و أجلب) :

يُسمّى هذان اللفظان عند الصرفيين (اسم تفضيل) ويُعرَّف اسم التفضيل أنه :
((وصف يُصاغ على وزن " أفْعَل " للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة واحدة ، وزاد احدهما على الآخر في تلك الصفة ، مثل (أكثر ، اقلّ ، اعزّ ، أمنع ، أكرم)[١٧] .

وهناك جملة من الشروط التي لا بد من توفرها في الكلمة التي يُصاغ منها اسم التفضيل ؛ فان اسم التفضيل يُشتق من :الفعل الثلاثي المتصرف التام المثبت المبني للمعلوم الذي يكون معناه قابلا للتفاوت الذي لا يصاغ الوصف منه على وزن افعل للمذكر فعلاء للمؤنث .

ـ ولاسم التفضيل أربعة استعمالات هي :

١ـ أن يكون اسم التفضيل نكرة غير مضافة وبعده حرف الجر من ، مثل (زيدٌ أفضلُ من غيره) .
٢ ـ أن يكون نكرة مضافا إلى نكرة ، مثل (زيدٌ أفضلُ رجلٍ) .

٣ ـ أن يكون مضافا إلى معرفة ، مثل (زيدٌ أفضلُ الرجال) .

٤ ـ أن يكون اسم التفضيل معرفة ، مثل (زيدٌ الأفضل خلقا)[١٨] .

*** الاملاء : وليكن اختيارنا من النص :**

١ـ مصطفى وآخرون ، ج ١ ، ص ١٤٨ .
٢ـ الرازي ، ٢٠٠٣ ، ص ١٢٠ .
٣ـ وهو من أهم علماء اللغة والنحو والأدب الكوفيين له مؤلفات مشهورة من مثل مجالس العلماء (ت ٢٩١ هـ) .
٤ـ ابن منظور ، ١٩٩٧ ، ج ٣ ، ص ١٤٦ .
٥ـ ابن منظور ، ١٩٩٧ ، ج ٥ ، ص ٣١٤ .
٦ـ شلاش وآخرون ، ١٩٨٩ ، ص ٢٨٤ .
١ـ الراجحي ، ١٩٧٩ ، ص ٩٠ ـ ٩٧ .

ـ (وقال ابن كعب الأنصاري) :

والذي يهمنا هنا هي كلمة (ابن) فنلاحظ أن الهمزة قد بقيت ولم تحذف والسبب في ذلك هو عدم توافر شروط حذفها ، وفيما يلي سنذكر باختصار حكم همزة كل من (ابن ، ابنة) :
١ ـ تُحذف همزتهما إذا وقعت (ابن ، ابنة) :

أ ـ بين علمين مثل (محمدٌ بن عبد الله) ، ب ـ أو بين علم وكنية مثل (محمدٌ بن أبي بكر).

ج ـ أو بين كنيتين مثل (أبو بكر بن أبي قحافة) ، د ـ أو بين لقبين مثل (الباقر بن زين العابدين) .

هـ ـ إذا سبقت (ابن وابنة) همزة استفهام ، مثل (أَبْنُك هذا؟) .

٢ ـ تذكر الهمزة في المواضع الآتية :
أ ـ إذا كانت (ابن ، ابنة) مثناة ، مثل (الحسن والحسين ابنا علي) .

ب ـ إذا وجد بينها وبين العلم فاصل ، مثل (إنّ زيدا هو ابن حارثة) .

ج ـ إذا لم تقع بين علمين ، مثل (كان ابنُ الوليد قاسيا) .

د ـ في أول السطر وإن كان بين علمين .[١٩]

*** النحو : وليكن كلامنا في :**

ـ قال التوحيدي (... لم ينطق إلا به آمرا ...)

ـ لم : أداة نفي وجزم وقلب .

ـ ينطق : فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره هو .

ـ إلاّ[٢٠] : أداة استثناء ملغاة .

ـ به : الباء حرف جر ، (الهاء) ضمير متصل مبني على الكسر في محل جر بحرف الجر .

آمرا : حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره .

ـ واستطرادا لما تقدم نود أن نُبين بإيجاز بعضا من أحكام الحال في العربية فنقول :

ـ الحال :

١ـ الطويل ، ٢٠٠٧ ، ص ١٦٣ .
٢ـ وهنا تفيد الحصر لتقدم النفي عليها .

" وصفٌ فضلة منصوب يُبيّن هيئة صاحبه عند صدور الفعل نحو : أقبل سليمٌ مستبشراً ، وانقل الخبر صحيحاً " .

والحال لا تجيء إلاّ عن فاعل أو مفعول ،لفظا ـ أو معنى نحو : " جاء أخوك راكبا ، وشربتُ الماء صافياً ، وعجبتُ من ذهاب الأمير ماشياً "[٢١] .

فالمثال الأول حال عن الفاعل لفظاً ومعنى والثاني حال عن المفعول لفظا ومعنى ، وأما المثال الثالث فحال عن فاعل معنى فقط .

والحال يأتي مفردا كالأمثلة المتقدمة وكذلك يأتي جملة فعلية ، مثل (يُذاكر الطالبُ وقد وثق من تفوقه) ، أو جملة اسمية ، مثل (يُذاكرُ الطالبُ وهو واثق من التفوق) ، وكذلك يأتي شبه جملة ومثال شبه الجملة من الجار والمجرور قولك (نؤدي واجبنا بإخلاص) ، ومن الظرف قولك (العصفور يُغرّد فوق الشجرة)[٢٢] .

*** البلاغة : ولنأخذ :**

ـ (لم ينطق إلا به آمرًا وناهيًا) :

عند ملاحظة الجملة المتقدمة نجد أن فيها كلمتين إحداهما ضدٌ للأخرى وهما (آمراً) ، (ناهيا) وهذا ما يسمى الطباق عند البلاغيين وهو من موضوعات علم البديع ، واليك إيجاز الكلام في الطباق:

ـ الطباق : " هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام "[٢٣].

ـ والطباق على نوعين هما :

أ ـ طباق الإيجاب : وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا ، مثل قوله تعالى {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ }[٢٤] فنجد أن هذا الموضع من الآية قد جمع بين كلمتين متضادتين هما (ايقاظا) و (رقود) وهذا ما يُسمّى طباق الإيجاب .

ب ـ طباق السلب : وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا ، قوله تعالى {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ }[٢٥] فنجد أن الفعل (يستخفون) قد تكرر مرتين في الآية إلاّ انه كان في المرة الأولى مثبتا وفي الثانية منفيا ب (لا) وهذا ما يُسمى طباق السلب[٢٦] .

*** التمرينات :**

١ـ مَن هو التوحيدي ؟ تكلّم عنه ، ثم عن كتابه الامتاع والمؤانسة مبيّنا أهم ما يتضمنه هذا الكتاب .

٢ـ أُكتب نصّا تحفظه من كتاب الامتاع والمؤانسة للتوحيدي .

١ـ الهاشمي ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٠٢ .
٢ـ نبوي ، ٢٠٠٨ ، ص ١٥٢ .
٣ـ الطريفي
٤ـ من الآية ٨ من سورة الكهف
٥ـ من الآية ١٠٨ من سورة النساء
٦ـ الطريفي ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٠٦ـ ٣٠٧ .

٣ـ اِعط معاني المفردات الآتية : ـ أجول ، ـ درور ، ـ روض ، ـ القلّة .

٤ـ كيف يُصاغ اسمُ التفضيل ؟ وضّح ذلك مع ذكر أبرز استعمالاته .

٥ـ متى تُرسم الهمزة في كل من (ابن ، ابنة) ؟ ومتى تُحذف ؟ بيّن ذلك مع الأمثلة .

٦ـ اِعط جملة مفيدة فيها حال عن فاعل ، ثم عن مفعول .